الأستاذة: خميسي

محاضرة: القصة الشعبية (دراسة نص ثليجة البيضاء).

تمهيد:

تُعدُّ حكاية ثُليجة البيضاء من الحكايات الشعبية العجائبية التي تنتمي إلى التراث الشفهي العربي، وقد انتقلت عبر الأجيال بالرواية الشفوية قبل أن تُدوَّن في كتب الفولكلور. وهي حكاية مجهولة المؤلف، تمثل الذاكرة الجماعية، وتعكس منظومة من القيم الأخلاقية والاجتماعية، مثل الصراع بين الخير والشر، والبراءة والظلم، وانتصار الفضيلة في النهاية.

أولًا: الحكاية الشعبية (الرواية المفصلة)

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، ملكٌ عادل يعيش في مملكة هادئة، وكان له زوجة محبة وبنت وحيدة فائقة الجمال، بيضاء الوجه، نقية القلب، فسمّاها الناس ثُليجة البيضاء.

عاشت ثُليجة طفولة سعيدة في كنف والديها، لكن سعادتها لم تدم طويلًا، إذ توفيت أمها، فغمر الحزن القصر، وتألمت ثُليجة ألمًا شديدًا لفقدان أمها، وبعد مدة، تزوج الملك امرأة أخرى، بدت في ظاهرها حسنة الخلق، لكنها كانت في باطنها قاسية القلب، حاسدة، لا تحتمل أن ترى أحدًا أجمل منها أو أحب إلى الناس. وما إن كبرت ثُليجة وازداد جمالها حتى اشتعلت الغيرة في قلب زوجة أبيها، فبدأت تُسيء معاملتها، وتكلفها بالأعمال الشاقة، وتحرمها من الراحة والطعام، بينما تُظهر أمام الملك عطفًا مصطنعًا.

ذات يوم، نظرت زوجة الأب إلى ثُليجة ورأت أن جمالها فاق كل حد، فقررت التخلص منها نهائيًا. استدعت أحد الخدم، وأمرته أن يأخذ الفتاة إلى الغابة البعيدة ويتركها هناك، وأوهمت الملك أن ابنته ذهبت في نزهة.

سار الخادم بثُليجة إلى الغابة، ولما رأى دموعها ورقّ قلبه، تركها حيّة وفرّ هاربًا. بقيت ثُليجة وحيدة في الغابة، خائفة جائعة، فجلست تبكي وتدعو الله. وبينما هي كذلك، ظهرت لها عجوز غريبة الهيئة، فسألتها عن حالها، فقصّت عليها قصتها. رقّت العجوز لها، وأعطتها خاتمًا سحريًا، وقالت لها: «احفظي هذا الخاتم، وسيكون لك عونًا إذا ضاقت بك السبل، واصلت ثُليجة سيرها حتى وصلت إلى بيت صغير في عمق الغابة، يسكنه سبعة إخوة. رحبوا بها لما رأوا طيبتها، وسمحوا لها بالبقاء عندهم مقابل أن تعتني بالبيت. عاشت ثُليجة معهم في أمان نسبي، وكانت مثالًا للأخلاق والعمل.

لكن زوجة الأب لم تهدأ، وعلمت أن ثُليجة لا تزال على قيد الحياة. تنكّرت في هيئة امرأة عجوز، وحملت معها تفاحة مسمومة، وذهبت إلى الغابة. قدّمت التفاحة لثُليجة، وما إن أكلت منها حتى سقطت مغشيًا عليها كالميتة، عاد الإخوة فوجدوا ثُليجة مسجّاة لا تتحرك، فبكوا عليها، ووضعوها في تابوت من زجاج، لجمالها ونقاء وجهها، وتركوه في الغابة.

وفي أحد الأيام، مرّ أمير شاب أثناء الصيد، فرأى التابوت، وأعجب بجمال ثُليجة. اقترب منها، فانكسر السحر، وعادت إليها الحياة. قصّت عليه قصتها، فأخذها إلى قصره،

وتزوجها، وعاشت حياة سعيدة، أما زوجة الأب، فانكشف أمرها، ونالت جزاءها، وانتصر الخير في النهاية.

ثانيًا: مدخل إلى التحليل البنيوي عند فلاديمير بروب

يُعدُّ فلاديمير بروب من أبرز منظّري التحليل البنيوي للحكاية الخرافية، وقد حدّد في كتابه "مورفولوجيا الحكاية الخرافية" مجموعة من الوظائف السردية الثابتة (31 وظيفة)، تتكرر في الحكايات العجائبية، مع اختلاف الشخصيات والأحداث.

يعتمد تحليل بروب على:

الوظيفة لا الشخصية

ثبات الترتيب

تنوّع التجليات

ثالثًا: تطبيق وظائف بروب على حكاية ثُليجة البيضاء (تحليل موسّع)

1. وضعية البداية **(Situation initiale)**

تفتتح الحكاية بوضعية توازن أولي، حيث تعيش الأسرة الملكية في حالة من الاستقرار والانسجام. وجود الملك والزوجة والابنة يرمز إلى النظام الاجتماعي السليم. هذه الوضعية ضرورية عند بروب لأنها تمثل النقطة التي سيُخلّ بها لاحقًا.

2-الغياب (Absentation)

يتجسد الغياب في موت الأم، وهو غياب محوري يُحدث أول صدع في بنية الأسرة. هذا الغياب يترك البطلة دون حماية، ويفتح المجال لظهور قوى الشر.

3- التحريم (Interdiction)

التحريم يظهر ضمنيًا من خلال الحاجة إلى حماية الطفلة والحفاظ على استقرارها. التحريم هنا أخلاقي واجتماعي أكثر منه لفظي.

4- خرق التحريم (Violation)

يحدث خرق التحريم بزواج الأب من امرأة شريرة، وهو فعل يؤدي إلى انهيار التوازن الأولي. هذا الخرق يسمح بدخول الشر إلى فضاء الحكاية.

5- ***الإيذاء أو النقص*** (Villainy / Lack)

تمارس زوجة الأب الإيذاء الجسدي والنفسي على ثُليجة، ثم تسعى إلى التخلص منها في الغابة. هذه الوظيفة تمثل جوهر الصراع في الحكاية.

6- ***الوساطة*** (Mediation)

إدراك البطلة للخطر الذي يهددها، وبداية انتقال الحكاية من حالة السكون إلى الحركة.

7- الانطلاق (Departure)

خروج ثُليجة من القصر إلى الغابة يمثل انتقالًا مكانيًا ودلاليًا من فضاء الأمان إلى فضاء الاختبار.

8- المانح (Donor)

تظهر العجوز بوصفها مانحًا يختبر طيبة البطلة قبل مساعدتها، وهو عنصر ثابت في الحكايات العجائبية.

9- الحصول على الوسيلة السحرية (Magical Agent)

يحصلَت ثُليجة على الخاتم السحري، الذي يرمز إلى الحماية أو المكافأة الأخلاقية.

10- الانتقال أو التوجيه (Guidance)

وصول البطلة إلى بيت الإخوة في الغابة، وهو فضاء وسيط بين الخطر والأمان.

11- الصراع (Struggle)

الصراع غير مباشر، إذ تعتمد زوجة الأب على الحيلة والسحر بدل المواجهة المباشرة.

12- الأذى المتجدد (Renewed Villainy)

تقديم التفاحة المسمومة يمثل تجدد فعل الشر.

13- الإنقاذ (Rescue)

انكسار السحر وعودة الحياة إلى البطلة بواسطة الأمير.

14- العودة (Return)

عودة البطلة إلى المجتمع عبر الزواج، أي الاندماج في نظام اجتماعي جديد.

15- العقاب (Punishment)

معاقبة زوجة الأب بانكشاف أمرها وتحقيق العدالة الأخلاقية.

16- الزواج (Wedding)

تنتهي الحكاية بالزواج، وهو علامة استعادة التوازن وتحقيق الخاتمة السعيدة.

رابعًا: الشخصيات وفق نموذج بروب

البطلة: ثُليجة البيضاء

الشرير: زوجة الأب

المانح: العجوز

المساعدون: الإخوة السبعة

المنقذ: الأمير

خامسًا: خلاصة تحليلية

تُظهر الحكاية مطابقة واضحة للبنية الحكائية التي وضعها بروب، إذ تتوالى الوظائف السردية بترتيب شبه ثابت، وتبرز مركزية الصراع بين الخير والشر، وانتصار القيم الأخلاقية في النهاية.

خاتمة

تُعدُّ حكاية ثُليجة البيضاء نموذجًا غنيًا للحكاية الشعبية العجائبية، وتؤكد أن التحليل البنيوي عند بروب أداة فعالة في تفكيك البنية العميقة للحكايات التراثية، والكشف عن انتظامها الداخلي ووظائفها السردية.